موقف أدبي

بقلم رجاء النقاش

اونيسكو ودعوته الى البلاد العربيه

قرأت في بعض الصحف ان الاوساط الثقافية في الكويت قد ارسلت دعوة الى « يوجين اونيسكو » الكاتب المسرحي الفرنسي المعروف لزيارة الكويت . وقد جاءت هذه الدعوة بالرغم مما اظهره اونيسكو من ميل نحو اسرائيل وما اعلنه من آراء مؤيدة لليهود . وقد سألت بعض الادباء الكويتيين عن معنى هذه الدعوة الموجهة الى اونيسكو فقالوا : ان الدعوة تهدف الى اجراء حوار ومناقشة بين اونيسكو والادباء العرب حول قضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى. ولعل هذه المناقشة ان تنجح في كشف الحقيقة امام « اونيسكو » وتحويله عن موقفه الى موقف اخر سليم وصحيح .

ومن ناحية المبدأ ... لا أحد يعترض ابدا على اجراء حوار مع الادباء والمفكرين العالميين حول القضايا العربية المختلفة ، ولا أحد يعترض على أن تجري المناقشة حتى مع هؤلاء الذين يقفون منا موقف العداء والخصومة ، فليس من العقل ان نتصور اننا نقضي على خصومنا الفكريين بتجاهلهم ورفض الحوار معهم بأي صورة من الصور .. ذلك ولا شك اسلوب خاطىء يضرنا اكثر مما يضر الاخرين ، فمن الضروري ان نخلق حوارا دائما بيننا وبين خصومنا الفكريين في الغرب ، لان هؤلاء الخصوم يملكون قدرة واسعة على توجيه الرأي العام العالمي وعلى التأثير في القرارات الكبرى التي تتخذها الدول بعد ذلك بالنسبة لنا وبالنسبة لغيرنا على السواء .

ورغم هذه المقدمة فانني اعترض على دعوة اونيسكو لزيارة البلاد العربية . وما دمنا ندعو الى مبدأ الحوار مع اعدائنا في الغرب فيجب ان نطبق هذا المبدأ تطبيقا امينا واعيا ، والا انتهى بنا الامر الى اخطاء كبيرة في حق انفسنا وفي حق قضايانا المختلفة.

واختيار اونيسكو لدعوته الى الوطن العربي هو تطبيق غير سليم لمبدأ سليم .

فاونيسكو لم يعد كاتبا ناشئا صغير السن بحيث يمكن ان ننتظر منه في المستقبل تأثيرا له قيمة على المثقفين والرأي العام في اوروبا .. وهناك كتاب تزداد قيمتهم لدى الجماهير كلما تقدموا في السن ونضجت افكارهم ، ولكن اونيسكو واحد من الذين يفقدون تأثيرهم يوما بعد يوم في اوروبا ، لقد كانت الفترة المزدهرة في حياته الفنية هي فترة الخمسينات، وبعدها اخذ نفوذه الادبي يتضاءل حتى اصبح الان من أقل الفنانين والمفكرين تأثيرا في الحياة الادبية والفنية من ناحية وفي الحياة السياسية من ناحية اخرى . فما هي الجدوى اذن من اجراء حوار مع كاتب ينتهي ويفقد نفوذه الفكري والفني ؟

ما هي الجدوى من مناقشة كاتب لم يعد في قلب الحياة الفكرية والادبية وانما اصبح على الهامش رغم ما يناله من تكريم رسمي بين الحين والحين تقديرا لماضيه .. ومن الوان هذا التكريم الرسمي: انضمامه اخيرا الى الاكاديمية الفرنسية التي يطلق عليها مجازا اسم اكاديمية الخالدين ...

الم يكن من الافضل ان نبحث عن ادباء ومفكرين شبان ، او ادباء ومفكرين ما زالوا محتفظين بتأثيرهم على الرأي العام العالمي حتى ولو كانوا قد تجاوزوا مرحلة الشباب وتقدم بهم العمر ؟ ما هي الجدوى من اقناع فنان مثل اونيسكو لن يفيدنا اقناعه في شيء ، لان صوته لم يعد مسموعا كما كان ، ولان دوره قد تضاءل الى ابعد الحدود ..ربما دون ان ندري نحن ، حيث اننا قد تعودنا منذ فترة طويلة ان نعرف حقيقة الاوضاع الفكرية والادبية والفنية في العالم متأخرين دائما سنوات وسنوات عن الزمن الحقيقي لظهور هذه الاوضاع . وها نحن نتشبث بفنان اصبح اقرب الى « الجثة الادبية » بينما العالم كله ينظر اليه كما ينظر الى اثر من آثار القدماء .

ولقد قال اونيسكو عندما سأله بعض العرب عن سر موقفه من اسرائيل : « انه لا يعرف شيئا عن العرب ولا عن قضيتهم ، ولكنه يعرف مشاكل اسرائيل وحقيقة وضعها ولذلك فهو يدافع عنها ويؤيدها. وانا انقل هنا معنى كلام اونيسكو ولا انقل نص كلامه ، ذلك لاننى سمعت هذه الاجابة على لسان بعض الاخوة العرب الذين اتصلوا باونيسكو لاقناعه بقبول الدعوة لزيارة البلاد العربية . واود ان اتساءل امام اجابة اونيسكو : هل من السليم ان يقف مفكر كبير الى جانب قضية لم يدرس منها غير وجه واحد دون ان يلتفت الى وجهها الاخر ؟وهل من السليم ان يتخذ المفكر موقفا واضحا مثل موقف اونيسكو بحجة ان احد الاطراف في قضية الصراع العربي الاسرائيلي لم يشرح وجهة نظره بوضوح امام اونيسكو نفسه ؟.. الم تكن الامانة تقتضي ان يدرس اونيسكو حقيقة هذا الصراع دراسة كاملة قبل ان يتخذ موقفه العلني الواضح في تأييد اسرائيل والدعوة الى قضيتها دعوة صريحة امام الرأي العام العالمي كله ؟ ..

ان كثيرا من المفكرين الغربيين قد ايدوا قضية فيتنام ووقفوا الى جانب هذه القضية دون ان يتصل بهم احد من الفيتناميين ، ذلك لان هذه القضايا الكبرى مثل قضية فيتنام وقضية فلسطين وقضية انجولا وغيرها من القضايا العالمية هي كلها قضايا تعلن عن نفسها دون خفاء . انها ليست قضايا سرية ، فكل احداثها تقع يوما بعد يوم تحت سمع الناس وابصارهم ، فخيام اللاجئين الفلسطينيين حقيقة علنية واضحة لا خفاء فيها ولا سر ، والطائرات التي تهدم القرى والمدن وتقتل الشر في فيتنام حقيقة هي الاخرى لا خفاء فيها ولا سر ، والمفكرون الكبار في هذا العالم هم من ينبغي عليهم ، ان يدركوا هذه الحقائق ،وان يقفوا الى جانب الحق والعدل فيها دون ان يدعوهم احد الى ذلك . اما الذين ينتظرون ان نذهب اليهم ـ كعرب ـ ليسمعوا منا قبل ان يحكموا لنا او علينا فهم في حقيقتهم اعداء مصممون على عدائهم لنا مهما تظاهروا بعكس ذلك، ومثل هؤلاء لا امل في تغيير موقفهم او اتجاههم على الاطلاق ، فهم لا يبحثون عن الحق والعدل ، والا كانوا منذ البداية قد بذلوا بعض الجهد في معرفة الحق والعدل . ولكنهم يريدون ان يجلسوا

في مقاعد القضاة المحايدين العادليـن وهم في حقيقة الامر ليسوا قضاة ولا محايدين وانما اعداء قد حددوا موقفهم منذ البداية لاسباب خاصة بهم وبتكوينهم الفكري ، وليس ما يردده امثال اونيسكو من انهم لا يعرفون شيئا عن العرب الا حجة واهية يريدون بها ان يستروا موقفهم العدائي الصريح ويكسبوه شكلا من اشكال العدالة والنزاهة في نظر المعترضين والمستنكرين .

ان المؤرخ الانجليزي الكبير ارنولد توينبي قد وقف الى جانب العرب دون ان يدعوه احد الى اتخاذ هذا الموقف ، وذلك لمجرد انه قرأ التاريخ بامانة ، وتابع الواقع الانساني المعاصر بضمير مخلص نزيه ، ورأى في النهاية مدى ما في موقف اسرائيل من خطأ وعدوان على حقوق الشعوب العربية ومدى ما في قضية العرب من عدالة جنى عليها تآمر واسع ، حيث كانت اسرائيل اداة رئيسية من ادوات هذا التآمر التاريخي الكبير .

وهناك ادباء ومفكرون عالميون اخرون اتخذوا موقفا سليما من العرب وقضيتهم العادلة اذكر منهم الكاتب والفيلسوف اليهودي الاميركي اريك فروم . ولقد كان اريك فروم بالذات اجدر باهتمامنا من اونيسكو ، لان اريك فروم يهودي ، ولانه كاتب ذو تأثير ضخم على الرأي العام المثقف في اميركا بعد ان استطاع هذا الكاتب الكبير ان يحتل مكانا مرموقا في مجال الدراسات النفسية والاجتماعية ، حيث اصبح الان واحدا من كبار المفكرين التقدميين في العالم كله .

ويجب ان نذكر اخيرا حقيقتين كبيرتين ، الاولى هي ان مدرسة « اللامعقول » التي يعتبر اونيسكو احد اعلامها في المسرح المعاصر ... هذه المدرسة قد اخذت قيمتها تتضاءل وتخبو ، واصبحت الان بعيدة تماما عن المكانة الاولى التي احتلتها في اوائل الستينات ، وبرزت مدارس مسرحية اخرى اصبحت اكثر اهمية وتأثيرا من مدرسة اللامعقول ، مثل « المسرح التسجيلي » و« المسرح السياسي ». اما بالنسبة للمسرح العربي فقد انتهت موجة اللامعقول بعد مد صغير محدود ، ذلك لان هذه المدرسة بعيدة كل البعد عن القدرة على التعبير عن مشاكلنا العربية الحقيقية ، في وقت يعيش فيه العرب قضايا هامة وحاسمة ، تحتاج كلها الى الوان من التعبير الفني مختلفة كل الاختلاف عن مدرسة اللامعقول .

وهكذا تبدو مدرسة « اللامعقول » منتهية ، او على ابواب الانتهاء في العالم وفي الوطن العربي على السواء .

ومن ناحية اخرى نجد أن أونيسكو قد كشف عن بعض آرائه الفكرية في السنوات الاخيرة ، من بينها رأيه الشهير في الكاتب المسرحي « برتولت بريخت » ... لقد تعرض بريخت لهجوم عنيف من جانب أونيسكو . وأهمية هذا الهجوم أنه يمتد من بريخت الى الادب الواقعي والثوري بصورة عامة . ولست أدري : هل نحن بحاجة الان الى من يقنعنا بأن الادب الواقعي والثوري لا قيمة له ولا دور ولا أهمية ؟ ان الواقع الادبي العربي يتجه بصورة قوية واضحة ـ في نماذجه الرفيعة ـ الى المساهمة في تغيير المجتمع وتشكيل المصير العربي الجديد . ولا يوجد أديب عربي له قيمته ووزنه يرضى لنفسه ان يعتزل بفكره وقلمه عن مشاكل الارض العربية ... هذه المشاكل الحادة المتفجرة والتي يتوقف على مواجهتها ومعالجتها مصير الامة العربية لمئات السنين القادمة

فلماذا نختار أونيسكو من بين الجميع لندعوه الى زيارة الوطن والدخول معنا في مناقشة حول آرائه المؤيدة لاسرائيل والمعادية للعرب.. هل لانه كاتب فقد الكثير من قيمته ومكانته ؟ هل لانه ينتمي الى مدرسة فنية وفكرية لم يعدلها تأثير كبير ؟ هل لانه يهاجم الادب الثوري الواقعي ؟... لست أدري بالتحديد ، ولكن الذي ادعو اليه هو ان ننتبه ونكون على وعي اكثر في اتصالنا بالادباء والمفكرين العالميين حتى نتصل بمن لهم قيمة ومكانة وحتى نتبادل الرأي والحوار مع من يجدي معهم مثل هذا الجهد .. أما أونيسكو فيكفي ان نقول انه أيد قضية اسرائيل ورصد دخل مسرحياته ليكون في خدمة هذه القضية وقال يوما انه لن يسمح بتمثيل اي مسرحية من مسرحياته في أي بلد عربي...

ولكن مصر عربية ايضا ...

اصدرت مجلة « الجديد » القاهرية منذ أسابيع عددا خاصا عن الشخصية المصرية ، وكان العدد يضم مقالات متعددة ومتنوعة ويحتوي على ابحاث تتناول الشخصية المصرية في مختلف جوانبها ومراحل تاريخها المتنوعة ، ولكن قراءة هذا العدد قراءة متأنية تلفت النظر الى قضية هامة أرجو أن يعالجها الاستاذ الدكتور رشاد رشدي وغيره من المسئولين عن هذه المجلة .

هذه القضية التي أعنيها هي قضية « عروبة مصر » ، فالعدد الخاص الذي أصدرته «الجديد» عن الشخصية المصرية ليس فيه اي اشارة الى أن « مصر عربية أيضا » الى جانب ما مر بها من مراحل تاريخية وما احتفظت به في تكوينها من عناصر حضارية متنوعة ، بل ان عروبة مصر هي الاطار الرئيسي الذي تتحرك فيه الشخصية المصرية في المرحلة الراهنة من مراحل التاريخ ، وأود هنا أن أسجل بعض الملاحظات التي قد تبدو من البديهيات الفكرية ، ولكن تكرارها هو أمر ضروري حتى يكون من الممكن في نهاية الامر أن ننظر الى مصر نظرة فكرية سليمة، خاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها مصر والامة العربية كلها.

الملاحظة الاولى هي أن عروبة مصر لا تعني أبدا رفض تاريخها الحضاري القديم السابق على الفتح العربي واندماج مصر في الامة العربية ، فالحضارة الفرعونية على سبيل المثال هي ولا شك جزء عزيز من تراث مصر الحضاري ، بل انها الآن تعتبر جزءا عزيزا من تراث العرب الحضاري ، وعروبة مصر لا تعني ابدا انكار هذا التراث ولا تجاهله ولا اهماله ورفضه . ولكن المرفوض حقا هو الدعوة التي يتبناها البعض سرا أو جهرا والتي تنادي باحياء التراث الفرعوني كله وفرضه على المرحلة الحضارية الراهنة . وهذه الدعوة تصل في بعض الاحايين الى نوع من الايمان ببعض الافكار الخيالية التي تقول باحياء الهيرو غليفية أحيانا ، فان لم يكن ذلك ممكنا ، وهو غير ممكن بالتأكيد، فلتكن لغتنا هي احدى اللغات الاوروبية ، فان لم يكن ذلك جائزا أو ممكنا فلنكتب لغتنا العربية بالحروف اللاتينية ، لعلنا بذلك أن ننتمي الى أوروبا بدلا من انتمائنا للعرب في آسيا وافريقيا . ان الحضارة الفرعونية شيء وأمثال هذه الدعوات المنطرفة الخيالية شيء آخر ، فالحضارة الفرعونية كنز من كنوز مصر ، سواء فيما بقي منها من آثار أو فيما بقي منها من قيم أخلاقية أو حضارية عامة يشرحها لنا بمنتهى الوضوح والعمق والدقة العالم الاثري الكبير بريستد في كتابه «فجر الضمير الانساني ».

الملاحظة الثانية : هي ان مصر لها رسالة حضارية واضحة ، فهي أكثر البلدان العربية كثافة سكانية وهي أقدم هذه البلدان ارتباطا بالحضارة العصرية وأسبقها جميعا الى الدخول فيما يمكن أن نسميه باسم « عصر التنوير » في التعليم والثقافة والعلوم والفنون والعمران. ومجال التأثير امام الكاتب والفنان والمهندس والطبيب وغيرهم في مصر لا يقتصر أبدا على مصر وحدها وانما يتسع ويمتد الى الوطن العربي، ولا شك أن رسالة مصر سوف تكون قاصرة وناقصة ومحدودة اذا ضربت على نفسها أو ضرب عليها الاخرون حصارا حضاريا منعها من الاتصال بالوطن العربي أو التأثير فيه ... ان مصر في هذه الحالة سوف تكون أصغر من حجمها الحضاري الحقيقي بكثير ، وسوف تفقد حيويتها وفرصتها للتقدم ... ولا زلت أذكر تلك العبارة العميقة الصادقة التي سمعتها من استاذ عربي كبير منذ سنوات حيث يقول هذا الاستاذ الكبير « ان تعريب مصر يعني في نفس الوقت تمصير العرب » ، فلقد تعودت مصر أن تهضم التطورات الحضارية المختلفة وتستخلص منها جوهرها وتصبغه بصبغة خاصة وتفرض من خلال هذه الصبغة تأثيرها ودورها ورسالتها ، وأكبر مثل على ذلك هو « الاسلام » ... فلم تكن مصر هي اول مجتمع دخل في الاسلام ، ومع ذلك فقد سارت التطورات الحضارية المختلفة في اتجاه جعل من « الفكر الاسلامي » في مصر صورة سليمة لجوهر الاسلام بعيدا عن كل التعقيدات المذهبية والطائفية

المختلفة « فالمصريون شيعيون في عواطفهم سنيون في سلوكهم الديني» ... وهكذا فمصر تهضم وتوحد وتلعب دور المزج بين العناصر المتعددة للخروج في النهاية بتركيبة واحدة اساسية . فرسالة مصر اذن مرتبطة اشد الارتباط بدورها العربي ، ومرتبطة اشد الارتباط بتاثرها بالوطن العربي وتاثيرها فيه .

الملاحظة الثالثة : هي أن الذين يتصورون أحيانا ان تخلص مصر من ارتباطها العربي سوف يريحها من عبء النضال على الجبهة الاسرائيلية ... هؤلاء الذين يتصورون ذلك مخطئون ولا شك ، فالحقيقة التي يمكن كشفها بسهولة ويسر هي أن اسرائيل سوف تصطدم حتما بمصر « حتى لو كانت مصر تتكلم العبرية وترفع يديها امام اسرائيل » ، ذلك لان التقدم الاسرائيلي الاقتصادي هو تقدم ذو طبيعة استعمارية عدوانية ، فاسرائيل لا تستطيع أن تعيش الا اذا كانت اقوى دولة في المنطقة من الناحية الاقتصادية والحضارية عموما ، ولن تسمح اسرائيل بان تكون هناك قوة اخرى مشابهة لها او متفوقة عليها حتى لو تذرعت هذه القوة بكل الشعارات السياسية التي ترضي اسرائيل وانصار اسرائيل ، ومصر هي القوة المرشحة بالدرجة الاولى لمقاومة النفوذ الاقتصادي والثقافي والحضاري لاسرائيل ، ولذلك فان اسرائيل سوف تصطدم حتما بمصر ... سواء كانت مصر مرتبطة بالاتجاه العربي أو غير مرتبطة به ... ولكن مصر العربية سوف تكون دائما اقوى واكثر تاثيرا من مصر المصرية المنعزلة عن رسالتها العربية .

هذه بعض الملاحظات التي ينبغي أن نتذكرها دائما ونحن نتحدث عن شخصية مصر ، وعن صلة مصر بالعروبة .. فمصر جزء حقيقي من الامة العربية ، ورسالتها هي رسالة عربية بالدرجة الاولى ، ومصيرها مرتبط تمام الارتباط بالمستقبل العربي كله ... وهذا ما يجب ان نتذكره دائما والا كنا غارقين في الاوهام والاخطاء والافكار البعيدة عن حقيقة رسالة مصر الحضارية من ناحية المبدأ والمصلحة على السواء .

المريض دائما على خطأ !

يتعرض بعض ادبائنا في الظروف الراهنة التي تمر بها الامة العربية لاضطرابات نفسية تؤثر احيانا على تكوينهم العضوي وتنتهي بهم الى امراض تهدد حياتهم تهديدا كبيرا . ولا شك ان هناك بعض الامراض التي تعرض لها الادباء هي جزء من نصيبهم الانساني العادي في هذا الوجود ، ولكن الظروف النفسية والعصبية والفكرية التي يمر بها الادباء تساعد من ناحية اخرى على مضاعفة الإخطار التي يتعرض لها هؤلاء الادباء ... فالجسم الذي يتعرض للمرض يصبح أكثر عرضة للخطورة اذا كان جسم فنان او مفكر حساس قلق . ولا زلت أذكر الالام النفسية التي عاناها الناقد المصري المرحوم انور المعداوي الذي توفي سنة ١٩٦٥ وهو في الخامسة والاربعين من عمره . فقد مات هذا الناقد الفنان بعد سنوات من المرض العضوي ، ولكنني لا اشك ـ وقد كنت قريبا منه تلميذا وصديقا له ـ ان الالام النفسية التي تعرض لها هذا الناقد الفنان كانت هي الاساس الذي قضى عليه .لقد كان يستنكر بعض الظواهر الفكرية الاساسية في الحياة الادبية ،وتحول هذا الاستنكار الى نوع من التمزق النفسي والرفض العنيف للحياة، بل والرفض العنيف للانتاج الادبي نفسه ، مما ادى بهذا الناقد في نهاية الامر الى ان يفقد حياته في سن مبكرة وهو الذي كان يتمتع بجسد قوي متماسك . ونحن نذكر كذلك آلام بدر شاكر السياب ،التي كانت كما قال هو نفسه اشبه بآلام أيوب ولكن في صورة عصرية جديدة ... لقد كانت آلام السياب عضوية ولا شك ، ولكن الذين عرفوا السياب في سنواته الاخيرة يقررون ان آلامه النفسية كانت سببا من أسباب القضاء عليه . ولو بحثنا في آلام كل الادباء والمفكرين الذين تعرضوا لمحنة من هذا النوع لوجدناهم جميعا ضحايا آلام عضوية ونفسية في وقت واحد .

وانا اكتب هذه السطور لكي الفت نظر الادباء والمنظمات الادبية المختلفة الى هذه القضية ، فلا بد أن يكون هناك من الاهتمام ـ في صورة أو اخرى ـ بآلام هؤلاء الذين يحملون القلم مهما كانت اتجاهاتهم مختلفة متباينة ، ما داموا في النهاية يتحركون في اطار الثقافة الوطنية العربية . فالذي يحدث الآن هو نوع من الاهمال الكامل لهؤلاء الذين يسقطون من الالم أو الاضطراب النفسي في الحياة الادبية العربية... اننا نهملهم جميعا ولا ننتبه اليهم ، حتى اذا جاءنا خبر عن رحيلهم او سقوطهم النهائي ذرفنا بعض الدموع ثم نسينا كل شيء ، وسكتنا على الذكرى دون حزن حقيقي او ألم صادق . وانا لا ادعو الى نوع من الجهود الفردية في هذا الميدان ، فالجهود الفردية مطلوبة حقا ، وقد تخفف هذه الجهود دمعة او تعالج جرحا ... ولكن المسالة ينبغي أن تتعدى هذا الامر الى جهد منظم دقيق للمؤسسات الادبية والثقافية، رسمية كانت أو غير رسمية ...ينبغي أن يكون هناك ضمير ادبي يقظ ، يدفع الادباء الى أن يمدوا أيديهم بقدر ما يستطيعون لحماية كل من يسقطون في الالم والاضطراب النفسي ويفقدون سلاحهم الرئيسي وهو القلم .

أكتب هذه السطور السريعة وفي ذهني نموذج من شباب الكتاب في مصر هو : اسماعيل المهدوي . والمهدوي كاتب شاب كان له دوره في الخمسينات وأوائل الستينات ، وبالنسبة لي شخصيا فانني كنت اختلف معه اشد الاختلاف في كثير من آرائه ومواقفه ، ولكن المسالة الآن ليست مسالة آراء ومواقف ... بل هي مسالة « صاحب قلم » سقط تحت ظروف عصبية ونفسية حادة ، فانتهى به الامر الى مستشفى الامراض العصبية ... وبصراحة أكثر انتهى به الامر الى مستشفى المجانين . ومع ذلك لم تتحرك هيئة أدبية أو ثقافية واحدة لمعرفة أوضاعه الحقيقية ، ومساعدته في محنته ... لم يسأل أحد عن أسرته واولاده ... لم يسأل احد عن مستوى علاجه .... هل هو المستوى المناسب أم أنه مستوى غير قادر على أن يصل بهذا الكاتب الى اي درجة من درجات الشفاء . ولم يسأل أحد هل هناك رعاية كافية لكرامة هذا المريض المثقف أم ان المسالة هي انه قد تحول الى مجرد مريض عادي لا أهمية له ولا قيمة ... ان هناك شيئا حقيقيا اسمه كرامة المريض ، ومريض من هذا النوع الذي يعاني من اضطراب عصبي ونفسي يمكن أن يتعرض لازمة أكثر عنفا وحدة اذا كانت ظروفه العلاجية سيئة ورديئة . ولن أطيل في الحديث عن هذه القضية القاسية العنيفة ، ولكن يكفي أن أقول ان كل اديب وفنان معرض لهذا النوع من الاضطرابات العصبية والنفسية ... وعلى كل صاحب قلم أن يساهم بشكل أو بآخر في حماية رفاق القلم من المحن والآلام المرتبطة بهذه المهنة بالذات ، وفي الظروف العربية الراهنة على وجه الخصوص ... ان اسماعيل المهدوي ليس هو النموذج الوحيد في هذا المجال فهناك نماذج أخرى متعددة ... ولكنه اقدم اسماعيل المهدوي كمثال ... لعله يوقظ ضمير المنظمات الثقافية والادبية في الوطن العربي فيمد يدها اليه والى كل من يتعرض لمحنة انسانية ونفسية وعصبية من أصحاب الاقلام .

وكل صاحب قلم هو في النهاية وفي مجتمع متالم ومجروح مثل مجتمعنا معرض لمثل هذه المحنة ... وان لم ينتبه اصحاب الاقلام الى ذلك فانهم ولا شك سوف يتحملون أمام التاريخ مسئولية سقوط اكثر من كاتب واكثر من جندي واكثر من فنان ... وسوف يكون الحساب في يوم من الايام مؤلما وعسيرا الى ابعد الحدود .

لا يجوز أبدا ان نقول بيننا وبين انفسنا : ان المريض دائما على خطأ ... فننساه ونهمله ونعتبره مسئولا عن نفسه وعن مصيره ومحنته!

هذا موقف لا يليق باصحاب الاقلام ولا يليق باصحاب القلوب والعقول والضمائر .

انه موقف غير انساني وغير كريم .

القاهرة — رجاء النقاش